جَلَّ المصَابُ

أبَا فهر

في رثاء العلاّمة، أبي فهر محمود محمد شاكر.. الذي لم يزدني إلاّ حباً للعربيّة وأهلها.

□□□

اللّيل يخنقني والهمّ والتّعبُ
والوَجْدُ يأسرني والحزنُ والنَّصَبُ
واللّيل أنّاتُ شيخ رَجْعُ زَفْرته
ـ عند احتشاد البلايا ـ النّجمُ والشّهبُ
شيخَ العروبة! وجهُ الحزن يرمقنا
والكون يندبنا والرّيحُ تضطربُ
والصّبح يروي حكايات ملعثمة
ويدرك الموج مغزاها فينتحبُ
هل يدرك النّيل إذ يجري بلا أمل
أنّ المنيّة في الشعرى لها نَشَبُ
وهل دَرَت مصر إذ غادَرتْهَا كَمداً
بأنّها لم تَجُدْ، بل أنت مَن يَهَبُ
طوتك قاهرةُ الأحلام في دمها
وخلّفتْك نَسيّاً هَدَّهُ اللّغَبُ
أبكيك يا قائداً في ليل محنتنا
أبكيكَ صرحاً هوى ما عاد ينتصبُ
من للبلاغة يُعلي مجد عزّتها
فليس ترقى إلى هاماتها الرّتبُ

قد جئت في زمن ضاعت مكارمه
وحرمة اللغّة الغرّاء تُسْتَلبُ
فكنت سداً منيعاً دون حوزتها
من أن يغير عليها الخائنُ الدّربُ
رُمْتَ (الأباطيل والأسمار)* تدحضها
فهُتِّكَتْ دونها الأستارُ والحُجُبُ
والآن تمضي، إلى أين المسير؟ أما
ترى قلوبا على ترحالكمْ تجبُ؟!
أين المُضيّ؟ فهذا الكون نَاحَ أسىً
والشّمس ناحت وزمّت ضرعَها السّحبُ!
آه من الدّهر كم تُدمي مطاعنه
كم مزّقتنا يدُ الأوهام والرّيبُ
لم يبق في القلب من وقع الأسى وطنٌ
إلاّ ونَاش ذُرَاهُ الجرحُ والوصبُ
جلّ المصاب أبا فهر فليس لنا
من بعدكم للعلا درب ولا سبب
فقد تطيق الرّزايا في الورى مُهجٌ
وربّما هدّها التّبريح والنصب

خليفة بن عربي

* كتابه (أباطيل وأسمار) رد فيه على بعض من طعن في اللغة العربية.